## أولا/ السياق الثقافي والتاريخي لفلسفة فيلون الإسكندري:

تشكّلت فلسفة فيلون الإسكندري في مرحلة تاريخية حاسمة من تاريخ الحضارة القديمة، اتسمت بتداخل الثقافات والأديان والفلسفات تحت سلطة الإمبراطورية الرومانية. وقد عاش فيلون في مدينة الإسكندرية، التي كانت آنذاك إحدى أعظم المراكز الفكرية في العالم القديم، ومكانًا التقت فيه الحضارات المصرية واليونانية واليهودية والرومانية.فبعد تأسيس المدينة على يد الإسكندر الأكبر سنة 331 ق.م، أصبحت الإسكندرية عاصمة للحكم البطلمي ومركزًا عالميًا للعلم والفلسفة والتجارة. وقد جذبت المدينة جماعات بشرية متعددة، كان من بينها اليهود الذين هاجروا بأعداد كبيرة من فلسطين إلى مصر خلال العصر الهلنستي. وسرعان ما أصبحت الجالية اليهودية في الإسكندرية من أكبر جماعات الشتات اليهودي وأكثرها تأثيرًا، وتمكنت من الاحتفاظ بقدر من التنظيم الذاتي، كما اندمجت تدريجيًا في الثقافة اليونانية حتى غدت اللغة اليونانية لغتها الأساسية.قد أدى هذا الوضع إلى نشوء بيئة ثقافية خاصة، وجد فيها اليهود أنفسهم أمام تحدٍّ فكري يتمثل في كيفية الحفاظ على عقيدتهم الدينية داخل عالم يهيمن عليه الفكر اليوناني. ومن هنا ظهرت الحاجة إلى تقديم التراث اليهودي بلغة فلسفية عقلية يفهمها العالم الهلنستي، وهو المشروع الذي كرّس له فيلون حياته الفكرية.

لقد تلقّى فيلون تعليمًا يونانيًا واسعًا شمل النحو والهندسة والموسيقى والفلسفة، وتأثر بعمق بفلسفة أفلاطون والرواقيين، لكنه ظل وفيًّا لتراثه اليهودي، وسعى إلى توظيف الفلسفة في خدمة الدين لا في معارضته. ولذلك حاول البرهنة على أن التوراة تتضمن في جوهرها الحقائق العقلية ذاتها التي توصّل إليها الفلاسفة اليونانيون، وأن الوحي والعقل ليسا متناقضين بل متكاملين. غير أن السياق الذي عاش فيه لم يكن ثقافيًا فقط، بل كان أيضًا سياقًا سياسيًا مضطربًا. فقد شهدت الإسكندرية في عصره صراعات متزايدة بين اليهود واليونانيين، وازدادت هذه التوترات في ظل الحكم الروماني، خاصة في عهد الإمبراطور جايوس كاليجولا .وعندما تعرّض اليهود لاضطهادات عنيفة سنة 38م في عهد الوالي فلاكوس، قرروا الدفاع عن أنفسهم على أعلى المستويات السياسية، فشكّلوا وفدًا رسميًا إلى روما واختاروا فيلون رئيسًا له لمقابلة الإمبراطور.وقد وصف فيلون هذه الأحداث وصفًا دقيقًا ومؤثرًا في كتابيه:

- In Flaccum عن فلاكوس
- Legatio ad Gaiumالبعثة الى جايوس

وفي مقدمة كتاب *البعثة إلى جايوس* يذكر فيلون أنه أصبح شيخًا أشيب الشعر، الأمر الذي دفع الباحثين إلى ترجيح ولادته ما بين سنتي 15 و20 ق.م. وبذلك يكون قد عاش في عهود عدد من أهم الأباطرة الرومان:أوغسطس طيبيريوس جايوس كاليجولا وربما جزءًا من عهد كلوديوس كما كان معاصرًا لـ السيد المسيح، وأكبر سنًّا من سينيكا والقديس بولس بنحو عقدين تقريبًا.وتُعدّ هذه المرحلة من أهم الفترات في تاريخ الحضارة الغربية، لأنها شهدت تحولات كبرى لم يكن فيلون نفسه قادرًا على التنبؤ بنتائجها وآثارها المستقبلية. ففي عصره كانت الفلسفة اليونانية التقليدية تدخل مرحلة جديدة، وكانت الإمبراطورية الرومانية تفرض وحدتها السياسية على العالم المتوسطي، وفي الوقت نفسه بدأت الديانات التوحيدية تكتسب حضورًا متزايدًا، وهو ما مهد لاحقًا لظهور المسيحية وانتشارها داخل العالم الروماني.لذلك اكتسب فكر فيلون أهمية استثنائية؛ لأنه مثّل حلقة انتقالية بين الفلسفة اليونانية القديمة والفكر الديني الوسيط. فقد كان من أوائل المفكرين الذين سعوا إلى بناء فلسفة دينية تقوم على التوفيق بين العقل والوحي، وتستخدم الأدوات الفلسفية اليونانية لتفسير النصوص المقدسة. ومن خلال مفهومه للوغوس ومنهجه التأويلي الرمزي أثّر تأثيرًا عميقًا في الفكر المسيحي اللاحق، ولاسيما في مدرسة الإسكندرية اللاهوتية.

ومن ثم فإن فلسفة فيلون لا يمكن فصلها عن السياق الحضاري الذي نشأت فيه؛ فهي نتاج مباشر لعصر امتزجت فيه الثقافات وتصارعت فيه الهويات الدينية والفكرية، وبدأت خلاله ملامح الحضارة الغربية اللاحقة تتشكل بصورة تدريجية.

## ثانيا/ تكوين فيلون العلمي والفلسفي:

يُعد فيلون الإسكندري من أبرز الشخصيات الفكرية في العالم القديم التي تجسّد نموذج الهوية المزدوجة، إذ ارتبط اسمه في المصادر الكلاسيكية بتسميتين أساسيتين: ''فيلون اليهودي (Philo Judaeus) ''و''فيلون السكندري (Philo Alexandrinus)''. ولا تعكس هاتان التسميتان مجرد انتماء ديني أو جغرافي، بل تكشفان عن البنية المركبة لتكوينه الفكري؛ فصفة ''اليهودي'' تحيل إلى جذوره الدينية وارتباطه العميق بالتراث الموسوي، بينما تشير صفة ''السكندري'' إلى انخراطه في البيئة الثقافية الهلنستية وتأثره العميق بالفلسفة اليونانية داخل مدينة الإسكندرية.ولا ترتبط صفة ''السكندري'' بالإقامة الجغرافية فقط، بل بوظيفة ثقافية أوسع؛ إذ كان فيلون أحد أبرز ممثلي الثقافة الهلنستية اليهودية التي نشأت في الإسكندرية، حيث تفاعلت الفلسفة اليونانية مع التراث الديني الشرقي. وفي هذا السياق يصفه المؤرخ اليهودي **يوسيفوس فلافيوس** بأنه حالة استثنائية بين اليهود بسبب عمق صلته بالعلوم والآداب والفلسفة اليونانية.

لقد نشأ فيلون في بيئة علمية موسوعية، مما أتاح له الاطلاع المبكر على مختلف فروع المعرفة، فدرس النحو والهندسة والموسيقى، وهي علوم كانت تمثل البنية التكوينية للثقافة اليونانية في العصر الهلنستي. غير أن الفلسفة سرعان ما احتلت عنده المرتبة العليا، إذ اعتبرها الطريق الأسمى للوصول إلى المعرفة الحقيقية. فالحكمة عنده ليست مجرد مهارة نظرية، بل معرفة شاملة بالأمور الإلهية والإنسانية وعللها، أي إدراك النظام الكلي للوجود.ومن هنا، لم ينظر فيلون إلى الفلسفة بوصفها نشاطاً عقلياً منفصلاً، بل باعتبارها وسيلة للارتقاء المعرفي نحو الحقيقة العليا. وقد صاغ هذا التصور في تعريفه للحكمة ضمن كتابه De Congressu Eruditionis Gratia، بوصفها: **المعرفة العلمية بالأمور الإلهية والإنسانية وعللها**« وهو تعريف يعكس تأثره المباشر بالتصور اليوناني الكلاسيكي للحكمة بوصفها علماً بالعلل الأولى.ولا شك أن معرفة فيلون بالفلسفة اليونانية لم تكن سطحية، بل كانت معرفة منهجية وعميقة، فقد تأثر على نحو خاص بفلسفة أفلاطون، كما استفاد من التصورات الأرسطية في المنطق والطبيعة، واطّلع كذلك على الفلسفة الرواقية في تصورها للعقل والنظام الكوني. وقد انعكس هذا التأثر في استعماله لمفاهيم مركزية مثل: العقل، النفس، الفضيلة، اللوغوس، والتأويل الرمزي.

غير أن هذا الانفتاح الفلسفي لم يؤدِّ إلى ذوبان فيلون في الثقافة اليونانية أو إلى التخلي عن هويته الدينية، بل ظل مرتبطاً بالتراث اليهودي ارتباطاً وثيقاً. فالفلسفة عنده لم تكن بديلاً عن الدين، وإنما أداة لفهمه وتفسيره والدفاع عن انسجامه مع العقل. ومن هنا تتحدد خصوصية مشروعه الفلسفي؛ إذ سعى إلى توظيف الفكر اليوناني لخدمة العقيدة اليهودية، وإعادة قراءة النصوص التوراتية بلغة فلسفية قادرة على مخاطبة العقل الهلنستي. وقد اتسم مشروعه أيضاً بمحاولة رفع التراث اليهودي إلى مستوى مماثل للفلسفة اليونانية، بل وتجاوزه أحياناً، من خلال تقديم موسى عليه السلام بوصفه أعلى مرتبة من الفلاسفة، لأنه تلقى المعرفة مباشرة من الإله، مما يجعله ـ في منظور فيلون ـ أسمى حكمة من الحكماء اليونانيين. ورغم انخراطه الفكري العميق في الفلسفة، لم ينفصل فيلون عن قضايا مجتمعه اليهودي، فقد شارك في الوفد اليهودي إلى روما خلال الأزمة السياسية، إلا أن نشاطه الأساسي ظل فكرياً وتأويلياً، يقوم على الدفاع عن اليهودية عبر أدوات العقل الفلسفي، وإبراز قدرتها على استيعاب الحكمة الكونية.وعلى هذا الأساس،

يمثل فيلون نموذجاً فريداً للمثقف الهلنستي اليهودي الذي جمع بين الانتماء الديني العميق والانفتاح الفلسفي الواسع، وأسس مشروعاً توفيقياً جعل الفلسفة في خدمة الدين، ومهّد لاحقاً لظهور الفلسفة الدينية في الفكرين المسيحي والإسلامي.

## ثالثا: مؤلفات فيلون الإسكندري ومحتوياتها

تكشف كتابات فيلون الإسكندري، التي وصلنا منها ما يقرب من خمسين مؤلفًا باللغة اليونانية الأصلية، عن غزارة إنتاجه الفكري وتعدد مواهبه الفلسفية والدينية والتأويلية. كما وصلت إلينا تسعة مؤلفات أخرى مترجمة إلى اللغة الأرمينية في القرن السادس الميلادي، الأمر الذي يدل على استمرار تأثيره الفكري عبر القرون. وتُعد هذه المؤلفات مصدرًا رئيسيًا للتعرف على شخصية فيلون وفلسفته، لأنها لا تعرض أفكاره الدينية والفلسفية فحسب، بل تكشف أيضًا عن منهجه في تفسير التوراة ومحاولته التوفيق بين الحكمة اليهودية والفلسفة اليونانية.وقد درج الباحثون على تقسيم أعمال فيلون إلى ثلاث مجموعات رئيسية:

1. المؤلفات التأويلية .(Exegetical Writings)
2. المؤلفات التاريخية الدفاعية .(Historical / Apologetic Writings)
3. المؤلفات الفلسفية .(Philosophical Writings)

### أولًا: المؤلفات التأويلية

تمثل هذه المجموعة القسم الأكبر من تراث فيلون، إذ تضم نحو تسعة وثلاثين كتابًا تدور جميعها حول تفسير أسفار التوراة، وبخاصة الأسفار الخمسة الأولى. وتنقسم هذه المجموعة بدورها إلى ثلاثة أقسام كبرى تختلف من حيث الشكل والمضمون

1/ **سلسلة التفسير الرمزي Legum Allegoriae** تتكون هذه السلسلة من واحد وعشرين كتابًا يقدّم فيها فيلون تفسيرًا رمزيًا للفصول السبعة عشر الأولى من سفر التكوين. ولا يتعامل فيلون مع هذه النصوص بوصفها مجرد تاريخ للإنسان الأول أو رواية عن اختيار الله لشعب إسرائيل، بل يقرأها باعتبارها وصفًا رمزيًا لطبيعة النفس الإنسانية وعلاقتها بالله ومسيرتها نحو المعرفة الإلهية فآدم عنده يرمز إلى العقل، وحواء إلى الجانب الشهواني، والحية إلى اللذة، بينما يرمز خروج بني إسرائيل من مصر إلى تحرر الروح من أسر المادة والجسد. ولذلك يصبح تاريخ التوراة عند فيلون تاريخًا رمزيًا لرحلة النفس البشرية من العالم الحسي إلى العالم الإلهي.ويبدأ فيلون عادة باقتباس آية من التوراة، ثم يشرع في التعليق عليها، مستشهدًا بآيات أخرى من تعاليم موسى عليه السلام، حتى يبدو منهجه وكأنه «تفسير موسى بموسى». ويحتاج هذا النوع من التأويل إلى جهد كبير من القارئ، لأن المعنى الحقيقي للنص لا يظهر مباشرة، بل يُستخرج من خلال القراءة الفلسفية الرمزية.وقد استند فيلون في هذا المنهج إلى التأويل الرمزي الذي استخدمه فلاسفة الرواق في تفسير أشعار هوميروس، ثم طبقه على نطاق واسع على النصوص اليهودية.

2/ **سلسلة القوانين الخاصة: De Specialibus Legibus** تتألف هذه السلسلة من اثني عشر كتابًا، وتهدف إلى عرض الشريعة اليهودية كما وردت في تعاليم موسى، مع التركيز على معانيها الرمزية والأخلاقية. ولا يكتفي فيلون هنا بعرض القوانين الدينية بمعناها التقليدي، بل يحاول البرهنة على وجود علاقة مباشرة بين شريعة موسى وقانون الطبيعة، أي القانون العقلي الكوني الذي يحكم العالم بأسره. كما يعتبر فيلون أن بطاركة بني إسرائيل: إبراهيم إسحاق يعقوب يوسف موسى قوانين حيّة»، لأنهم جسّدوا

الشريعة بسلوكهم حتى قبل تدوينهاوقد استخدم فيلون في هذه الكتابات أسلوبًا قريبًا من الكتابة التعليمية السائدة في العصر الهلنستي، كما اعتمد غالبًا على إعادة صياغة نصوص الترجمة السبعينية بدلًا من الاقتباس الحرفي المباشر

3/**سلسلة الأسئلة والأجوبة: الأولى حول الكون Quaestiones et Solutiones in Genesin والثانية الخروج Quaestiones et Solutiones in Exodum** وصلتنا هذه السلسلة أساسًا من خلال الترجمة الأرمينية، وهي تقوم على منهج السؤال والجواب. ففيها يطرح فيلون أسئلة تتعلق بنصوص التوراة، ثم يجيب عنها بطريقتين:**هما ال**تفسير الحرفي المباشرللنص دون زيادة أو نقصان والثاني **ال**تفسير التأويلي رمزي يكشف المعنى الفلسفي والروحي الكامن وراءه .وتكشف هذه الأعمال بوضوح الخلفية اليونانية واليهودية المشتركة في فكر فيلون.

ثانيا/ **المؤلفات التاريخية الدفاعية:** تمثل هذه المجموعة الجانب السياسي والدفاعي في كتابات فيلون، وهي أصغر حجمًا من المجموعة السابقة، إذ تضم أربعة كتب تتناول الأحداث التي وقعت بين عامي 37 و39م، وخاصة الاضطرابات التي تعرض لها يهود الإسكندرية.ومن أهم هذه الأعمال**In Flaccum** :يتناول فيه اضطهاد اليهود في الإسكندرية في عهد الوالي الروماني فلاكوس، ويصف ما تعرضوا له من عنف واضطهاد. إضافة الى **Legatio ad Gaium** يروي فيه تفاصيل السفارة التي ترأسها إلى الإمبراطور جايوس كاليجولا دفاعًا عن حقوق اليهود.وتُعد هذه المؤلفات مصدرًا تاريخيًا بالغ الأهمية لفهم أوضاع اليهود في العصر الروماني.

ثالثا/ **المؤلفات الفلسفية:** تتألف هذه المجموعة من خمسة كتب فلسفية تتناول موضوعات متنوعة، ويظهر فيها تأثر فيلون العميق بالفلسفة اليونانية، خاصة فلسفة أفلاطون والرواقيين.ويلاحظ الباحثون أن فيلون نادرًا ما يرجع في هذه الأعمال إلى التوراة بصورة مباشرة، حتى إن القارئ قد لا يشعر أحيانًا أن مؤلفها يهودي متدين. وقد ذهب بعض الدارسين إلى الظن بأن هذه الأعمال كُتبت في شبابه قبل أن يكتشف قيمة التراث اليهودي، غير أن هذا الرأي لا يستند إلى دليل قوي، لأن كتاباته كلها تكشف استمرار ولائه لتراثه الديني.ومن أهم هذه الأعمال**De Opificio Mundi** : يُعد هذا الكتاب من أهم مؤلفات فيلون الفلسفية، وفيه يفسر قصة الخلق الواردة في التوراة تفسيرًا فلسفيًا متأثرًا بمحاورة Timaeus لـ أفلاطون.يرى فيلون أن الله قبل خلق العالم المحسوس وضع أولًا التصميم العقلي للكون أو «العالم المعقول» داخل «الكلمة» أو اللوغوس. ولذلك فإن:السماء، والأرض، والنور، والماء، لا ينبغي فهمها فقط كعناصر مادية، بل بوصفها مكونات للنموذج العقلي السابق على الوجود الحسي.وقد تأثر فيلون هنا بفكرة أفلاطون عن الصانع الإلهي في محاورة «تيماوس»، لكنه خالف أفلاطون حين جعل العالم المعقول قائمًا داخل عقل الله أو «اللوغوس»، بينما كانت المثل الأفلاطونية مستقلة عن الإله.

## رابعا: محاور فلسفة فيلون

**أولا/ المفاهيم المفتاحية لفلسفة فيلون:** يحتل مفهوم اللوغوس (Logos) مكانة محورية في فلسفة فيلون، حتى يمكن اعتباره المفتاح الأساسي لفهم مذهبه الفلسفي والديني بأكمله؛ إذ يرتبط اللوجوس عنده ارتباطاً مباشراً بمذهبه في الألوهية وبمحاولته التوفيق بين العقيدة اليهودية والفلسفة اليونانية. فاللوجوس ليس مجرد مفهوم لغوي أو مبدأ عقلي جزئي، بل ضرورة فلسفية تفرضها طبيعة العلاقة بين الإله المتعالي والعالم المادي. ومن هنا فإن فهم فلسفة فيلون يظل ناقصاً ما لم يُفهم الدور الذي يؤديه اللوجوس بوصفه الوسيط بين الله والعالم. وتزداد صعوبة تحديد معنى اللوجوس في فلسفة فيلون بسبب تعدد الدلالات التي يحملها المصطلح اليونانيLogos ،

إذ يدل في اللغة اليونانية على ''الكلمة'' و''العقل'' و''الفكر'' و''الخطاب العقلي''. ولذلك يفضل كثير من الباحثين الإبقاء على المصطلح اليوناني نفسه دون ترجمة، لأن أي ترجمة جزئية لا تستطيع أن تستوعب جميع أبعاده الفلسفية والدينية.

يشير اللوجوس عند فيلون أولاً إلى العقل الروحاني للإله المتعالي، كما يدل على الفكر الإلهي الحاضر في الكون والطبيعة والإنسان. فهو قوة عقلية وإبداعية تسري في الوجود كله، وهو كذلك كلمة الله التي بها خُلقت الموجودات وانتظم العالم. ولذلك فإن اللوجوس عند فيلون يجمع بين البعد العقلي والبعد الديني معاً، الأمر الذي يعكس طبيعة مشروعه القائم على المزج بين الفلسفة والوحي.ومن هنا يربط فيلون بين أغراضه الفلسفية والدينية، حين يؤكد أن كلمة الله تتجلى في الشريعة الإلهية، وأن القانون الإلهي ليس سوى تعبير عن العقل الإلهي المنظم للكون. كما يطابق أحياناً بين اللوجوس والحكمة، خاصة في تأويله الرمزي لسفر التكوين في كتاب» **التأويلات الرمزية للقوانين** Legum Allegoriae، حيث يفسر ''النهر الخارج من عدن'' بأنه رمز لحكمة الله وعقله الإلهي، أي أن الحكمة تؤدي الوظائف نفسها التي يؤديها اللوجوس.

استند فيلون في بناء مذهبه في اللوجوس إلى جذور متعددة؛ فهو يستفيد من التراث الشرقي القديم كما في النصوص البابلية والمصرية التي تحدثت عن خلق العالم بواسطة كلمة أو قوة إلهية وسيطة، كما يتأثر بالفلسفة اليونانية، خاصة عند هيراقليطس الذي جعل اللوجوس مبدأً كلياً يحكم الكون، وعند الرواقيين الذين اعتبروا اللوجوس العقل الفاعل والطبيعة والقانون الكوني في آن واحد.غير أن فيلون يعيد صياغة هذه التصورات داخل إطار ديني يهودي يقوم على التوحيد والتنزيه؛ فاللوجوس عنده ليس إلهاً مستقلاً عن الله، كما أنه ليس مجرد فكرة ذهنية، بل كيان وسيط يحتل مرتبة متوسطة بين الإله والعالم. فهو كلمة الله وصورته وعقله، وهو الأداة التي خلق بها الله العالم ونظم بها الوجود.ولهذا ينسب فيلون إلى اللوجوس مهمة تحقيق التوافق بين الأضداد ونشر النظام والسلام في الكون، فيصفه بوصفه الوسيط الذي يربط بين العالم المادي والإله المتعالي، ويحقق الانسجام بين الموجودات. وهكذا يؤدي اللوجوس وظيفة كونية وأخلاقية في الوقت نفسه، لأنه يمثل العقل المنظم للعالم والمبدأ الذي يضمن وحدة الوجود وترابطه.

رغم تأكيد فيلون على تعالي الإله وتنزهه، فإنه لا يجعل الله منعزلاً عن العالم، بل يرى أن الله يتكلم ويتواصل من خلال اللوجوس. ولذلك يدل اللوجوس على عقل الله أو فكره الذي يستطيع الإنسان أن يعرفه ويتصل به. ومن هنا يصبح اللوجوس مظهراً للحضور الإلهي في العالم دون أن يؤدي ذلك إلى المساس بتعالي الله. كما يربط فيلون بين اللوجوس والعقل الإنساني، ففي كتاب عن خلق العالم De Opificio Mundi يؤكد أن الإنسان أشبه الموجودات بالإله لأن العقل في الإنسان يحتل المكانة نفسها التي يحتلها الله في الكون. فكما أن الله يدبر العالم، فإن العقل يدبر الإنسان، ولذلك يصبح العقل الإنساني انعكاساً محدوداً للعقل الإلهي أو اللوجوس الكلي.ويتخذ اللوجوس عند فيلون بعداً نورانياً أيضاً؛ فهو نور فائض عن الله ومصدر لكل نور ومعرفة. ولذلك يصف الحكمة ـ بوصفها مرادفاً للوجوس ـ بأنها نور الله وكلمته العليا. كما يصف العالم المحسوس بأنه إشعاع صادر عن النور الإلهي الأعلى، أي أن الموجودات تستمد وجودها ومعقوليتها من اللوجوس.ومن هنا أطلق فيلون على اللوجوس وصف ''الإله الثاني''، وهي عبارة كان يقصد بها إبراز عظمة اللوجوس وقربه من الله، لا إثبات وجود إله مستقل عن الله. ولذلك ظل فيلون محافظاً على التصور اليهودي القائم على وحدانية الله المطلقة. فاللوجوس عنده يظل تابعاً لله ومعتمداً عليه، مهما بلغت عظمته.وقد ظهر أثر هذا التصور بوضوح في الفكر المسيحي المبكر، خاصة في افتتاحية إنجيل يوحنا:

"**في البدء كان الكلمة، وكان الكلمة عند الله، وكان الكلمة الله**."ومع ذلك فإن اللوجوس عند فيلون يختلف عن اللوجوس في العقيدة المسيحية، لأنه ليس مساوياً لله في الجوهر، بل كائن صادر عن الله ومعتمد عليه. ولذلك يميز فيلون بين الله المطلق المتعالي

وبين اللوجوس بوصفه صورته وعقله وكلمته.كما يفسر فيلون بعض الشخصيات الدينية، وخاصة موسى عليه السلام، تفسيراً لوغوسياً؛ إذ يطلق عليه أحياناً صفة اللوجوس لأنه يمثل العقل الإلهي الهادي للبشرية والمنقذ لها من سلطان المادة. وهنا يظهر مرة أخرى البعد الرمزي في فلسفته، حيث تتحول الشخصيات الدينية إلى رموز للحقائق العقلية والروحية.أما في مجال الخلق، فإن اللوجوس يؤدي دور الأداة الإلهية التي تم بها خلق العالم. ففي كتاب في **الشرائع الخاصة** De Specialibus Legibus يؤكد فيلون أن صورة الله، أي اللوجوس، هي الوسيلة التي خلق الله بها العالم بأسره. ومع ذلك لا يجعل اللوجوس شريكاً لله في الخلق، بل يعتبره أداة إلهية أو نموذجاً عقلياً استخدمه الله في تنظيم المادة وإخراج العالم إلى الوجود.وعلى هذا الأساس يصبح اللوجوس في فلسفة فيلون نقطة التقاء الفلسفة بالدين، لأنه المفهوم الذي استطاع من خلاله التوفيق بين:

- التنزيه اليهودي للإله،
- والمفاهيم اليونانية عن العقل الكوني،
- وفكرة الخلق الإلهي،
- والعلاقة بين الله والعالم والإنسان .

ولذلك فإن اللوجوس لا يمثل جانباً جزئياً في فلسفة فيلون، بل يمثل البنية المركزية التي انتظمت حولها رؤيته للوجود والمعرفة والخلق والألوهية، الأمر الذي جعله بحق مفتاح فلسفته بأكملها.

**ثانيا/ الرؤية إلى العالم عند فيلون:** تقوم رؤية العالم عند فيلون الإسكندري على مبدأ أساسي يتمثل في التوفيق بين الفلسفة اليونانية وتعاليم التوراة، بحيث تصبح الفلسفة أداة عقلية لتفسير الوحي والدفاع عنه. ولذلك عُدَّ فيلون أول من جعل الفلسفة في خدمة الدين بصورة منهجية، وهو ما جعله رائداً للاتجاه الذي سيتطور لاحقاً عند الفلاسفة المسيحيين والمسلمين. ولم يكن هذا المشروع مجرد محاولة شكلية للجمع بين مصدرين مختلفين، بل كان تعبيراً عن رؤية شاملة للعالم ترى أن الحقيقة واحدة، وأن الحكمة الفلسفية الحقة لا تتعارض مع الوحي الإلهي الذي جاء به موسى عليه السلام. ويتضح هذا التوجه منذ مؤلفات فيلون التي أعاد فيها عرض تعاليم موسى، خاصة في كتاب De Specialibus Legibus، حيث لم يقتصر على تفسير أجزاء محددة من التوراة، بل أعاد صياغة التعاليم الموسوية صياغة فلسفية مترابطة، مستخدماً عبارات انتقالية ومفاهيم عقلية تكشف عن رؤيته الخاصة للنص التوراتي. ومن هنا لم يكن مجرد ناقل أو شارح، بل كان فيلسوفاً يسعى إلى بناء نسق فكري متكامل يربط بين العقيدة اليهودية والفلسفة الإغريقية.

يظهر هذا المشروع التوفيقي بوضوح في افتتاحه لكتاب (عن إبراهيم) De Abrahamo، حيث يفسر أسفار موسى الخمسة بوصفها كتاباً عن العالم وتكوينه، رغم اشتمالها على موضوعات متعددة كالحرب والسلام والخصب والقحط والفضيلة والرذيلة. فالعالم عند فيلون ليس مجرد بناء مادي، بل نظام شامل يحتوي الإنسان والطبيعة والتاريخ والأخلاق معاً. ولذلك فإن حديث التوراة عن الإنسان والطبيعة والأحداث ليس منفصلاً عن حديثها عن الكون، لأن جميع هذه الأمور تدخل ضمن النظام الكوني الذي أوجده الله بعنايته. ومن هنا ترتبط كتب فيلون مثل De Opificio Mundi(عن خلق العالم) وDe Josepho(عن يوسف) بوحدة فكرية واحدة أساسها تفسير سفر التكوين تفسيراً فلسفياً. ففي كتاب "عن خلق العالم" يعرض فيلون رؤيته للكون انطلاقاً من مبدأين: العلة الفاعلة والعلة المنفعلة. العلة الفاعلة هي الله أو العقل الإلهي الكامل، أما العلة المنفعلة فهي مادة العالم التي لا تمتلك حياة أو حركة في ذاتها حتى يتدخل العقل الإلهي فيمنحها الصورة والنظام والحركة.وهنا يتجلى البعد الفلسفي في فكر

فيلون، إذ يستخدم مفاهيم يونانية واضحة الجذور، لكنه يعيد توظيفها لخدمة العقيدة اليهودية. ففكرة ''الصانع'' التي يصف بها الله تتطابق مع مفهوم الصانع في محاورة تيماوس، حيث يصور أفلاطون الإله بوصفه منظماً للمادة ومحولاً للفوضى إلى نظام. غير أن فيلون لا يكتفي بالنقل عن أفلاطون، بل يمنح هذا التصور بعداً دينياً توحيدياً؛ فالله عنده ليس مجرد مهندس كوني، بل خالق متعالٍ وعلة أخلاقية تحفظ العالم بعنايتها المستمرة. كما يظهر التأثير الأرسطي في حديثه عن أبدية العالم وثبات العلة الأولى، إذ يرى أن دوام العالم مرتبط بثبات القدرة الإلهية وعدم تغيرها. لكنه لا يأخذ بالفكرة الأرسطية أخذاً كاملاً، لأن هدفه الأساسي ليس إثبات أزلية الكون بقدر ما هو تأكيد تبعية العالم لله. ولهذا يرفض آراء الذين يقولون إن العالم غير مخلوق ومستقل بذاته، لأن هذا الرأي يؤدي ـ في نظره ـ إلى إنكار العناية الإلهية وإضعاف التقوى والورع.

تحتل العناية الإلهية (Pronoia) مكانة مركزية في رؤيته للعالم؛ فالعالم ليس آلة مادية تعمل بصورة عمياء، بل نظام حيّ يخضع باستمرار لإرادة الله وحكمته. وكل ما يوجد في الكون يدخل ضمن خطة إلهية مقصودة تهدف إلى حفظ المخلوقات وتحقيق النظام والخير. ومن هنا تصبح العناية دليلاً على العلاقة الدائمة بين الخالق والعالم، كما تصبح أساساً دينياً وأخلاقياً في آن واحد. ويتضح نجاح فيلون في التوفيق بين الفلسفة والدين من خلال اعتماده على موسى عليه السلام بوصفه المصدر الأول للحكمة. فهو يؤكد أن موسى بلغ ''ذروة الحكمة''، وأن ما وصل إليه الفلاسفة اليونانيون من حقائق عقلية موجود أصلاً في التوراة. ولذلك لا تظهر الفلسفة عنده باعتبارها معرفة مستقلة عن الوحي، بل باعتبارها شرحاً عقلياً لما جاء به الوحي الإلهي. كما أن العقل يحتل مكانة أساسية في هذه الرؤية؛ إذ لا يرى فيلون تعارضاً بين العقل والإيمان، بل يعتبر العقل أداة لفهم النظام الإلهي الكامن في الكون والنصوص المقدسة. ولهذا استخدم التأويل الرمزي للنصوص التوراتية، فانتقل من المعنى الحرفي إلى المعنى الباطني الفلسفي، محاولاً الكشف عن الحقائق العقلية والأخلاقية التي تتضمنها القصص الدينية.

على هذا الأساس فإن رؤية العالم عند فيلون تقوم على وحدة مترابطة بين الله والعالم والإنسان:

- الله هو العلة الفاعلة والعقل الكامل .
- والعالم نتاج فعل إلهي منظم بالعقل والعناية .
- والإنسان كائن عاقل يستطيع إدراك النظام الكوني والتقرب إلى الله بالفضيلة والمعرفة .

من ثم فإن مشروع فيلون لا يتمثل في مجرد استعارة مفاهيم فلسفية يونانية، بل في بناء رؤية كونية تجعل الفلسفة خادمة للوحي، وتجعل الوحي أساس الحقيقة العقلية والأخلاقية معاً. ولهذا كان تأثيره عميقاً في الفكر الديني اللاحق، خاصة في الفلسفة المسيحية والإسلامية التي ستتبنى لاحقاً فكرة التوفيق بين العقل والنقل.

**ثالثا/ المنهج عند فيلون:** يقوم منهج فيلون على التأويل الرمزي بوصفه الوسيلة الأساسية للتوفيق بين التعاليم الموسوية والفلسفة اليونانية، ولذلك لم يكن تفسيره للنصوص التوراتية تفسيراً حرفياً، بل تفسيراً فلسفياً يهدف إلى الكشف عن المعاني العقلية والروحية الكامنة خلف ظاهر النص. وقد تجسد هذا المنهج بصورة واضحة في كتاب التأويل الرمزي Legum Allegoriae ، حيث تناول نصوص سفر التكوين من خلال قراءة رمزية تجعل النص الديني قابلاً للتأويل الفلسفي. ينطلق فيلون من افتراض أساسي مؤداه أن النص المقدس يحمل مستويين من المعنى: معنى ظاهري موجه للعامة، ومعنى باطني عقلي يدركه أصحاب الحكمة والفلسفة .ومن

هنا تصبح مهمة الفيلسوف ليست مجرد شرح النص، بل الكشف عن دلالاته الميتافيزيقية والأخلاقية والعقلية. ولذلك يقتبس فيلون النصوص التوراتية جملة ثم يعيد تفسيرها مستخدماً تعبيرات فلسفية لا تغير المعنى الأصلي للنص وإنما تكشف عن مضمونه العميق

يتضح هذا المنهج منذ افتتاحية كتاب التأويل الرمزي عندما يقتبس من سفر التكوين النص القائل: واكتمل خلق السماء والأرض وكل عوالمهما. فلايفسر فيلون السماء والأرض تفسيراً مادياً مباشراً، بل يربط السماء بالعقل(Nous) ، ويربط الأرض بالإدراك الحسي .(Aisthesis) فالسماء ترمز إلى الطبائع العقلية والمعقولات، أما الأرض فترمز إلى العالم الحسي المرتبط بالأجسام والمادة. وبهذا يتحول النص الكوني إلى تفسير أنثروبولوجي يجعل الإنسان صورة مصغرة للعالم، بحيث تصبح قوى النفس الإنسانية انعكاساً لبنية الكون ذاته.ومن ثم فإن التأويل عند فيلون لا يقتصر على البعد اللغوي، بل يتجاوز ذلك إلى بناء رؤية فلسفية ترى وحدة بين العالم الأكبر والعالم الأصغر؛ فالكون الخارجي يقابله كون داخلي في النفس الإنسانية. ولهذا فإن مفاهيم مثل السماء والأرض والعالم لا تُفهم فقط بوصفها حقائق طبيعية، بل باعتبارها رموزاً لقوى العقل والحس والإدراك.ويظهر البعد التوفيقي في منهجه من خلال محاولته المستمرة الربط بين موسى عليه السلام والفلسفة اليونانية. فهو يؤكد أن موسى بلغ ذروة الحكمة، وأن ما توصل إليه الفلاسفة اليونانيون من حقائق عقلية موجود أصلاً في التوراة. ولذلك لا يرى في الفلسفة معرفة مستقلة عن الوحي، بل يعتبرها شرحاً عقلياً للحكمة الإلهية التي تضمنتها التعاليم الموسوية.

من هنا يمكن فهم الفرق بين كتابيه Legum Allegoriae وDe Abrahamo؛ ففي الأول يلتزم بتفسير النص التوراتي تفسيراً مباشراً، أما في الثاني فإنه يعيد بناء الموضوع بصياغة فلسفية خاصة به، الأمر الذي يدل على أنه لم يكن مجرد شارح للنص، بل مفكر يسعى إلى إعادة إنتاجه داخل نسق فلسفي متكامل.كما يتجلى منهجه العقلي في تفسيره لقصة الخلق، خاصة فيما يتعلق بمسألة الزمن. فعندما يفسر قول التوراة إن الله أكمل العالم في ستة أيام، يرفض الفهم الحرفي للزمن، ويرى أن العالم لم يُخلق في مدة زمنية فعلية؛ لأن الزمن نفسه مرتبط بحركة الشمس والأفلاك، وهذه الأخيرة جزء من العالم المخلوق. وبذلك يصبح الزمن حادثاً مع العالم لا سابقاً عليه. ويكشف هذا التحليل عن تأثره الواضح بالفلسفة اليونانية، خاصة بما ورد في تيماوس حول العلاقة بين الزمن والكون.ويمتد التأويل الرمزي عند فيلون إلى الأعداد أيضاً؛ فالعدد ستة يرمز عنده إلى العالم الفاني، بينما يرمز العدد سبعة إلى الكمال والبركة والحياة الإلهية. ولذلك فإن اليوم السابع لا يمثل مجرد نهاية للخلق، بل بداية مرتبة أسمى من الوجود الروحي والإلهي.وتبلغ النزعة التوفيقية ذروتها في مفهوم اللوجوس(Logos) ، الذي يحتل مركزاً أساسياً في منهج فيلون الفلسفي. فاللوجوس هو الوسيط بين الله والعالم، أو عقل الله الذي تم من خلاله خلق الموجودات وتنظيمها. وقد تأثر فيلون هنا بالفلسفة الأفلاطونية والرواقية، لكنه أعاد صياغة المفهوم داخل إطار ديني يهودي. فالخالق المتعالي لا يباشر المادة مباشرة، بل يخلق العالم بواسطة اللوجوس الذي يمثل الأداة الإلهية والنموذج العقلي للخلق.

أما المادة الأولى التي خُلق منها العالم، فيصفها فيلون بأنها مادة غير متشكلة، وعديمة النظام والتمييز والإحساس، أي أنها وجود سلبي لا يكتسب الصورة والنظام إلا بفعل العقل الإلهي. ومن خلال اللوجوس تتحول هذه المادة الفوضوية إلى عالم منظم قائم على التناسق والعقلانية.وهكذا يكشف منهج فيلون عن محاولة فلسفية عميقة للتوفيق بين :النص الديني اليهودي، والتأمل العقلي اليوناني، مع الحفاظ على قدسية الوحي من جهة وإضفاء الطابع العقلي والفلسفي عليه من جهة أخرى .لذلك يمثل منهجه مرحلة تأسيسية في تاريخ الفلسفة الدينية، لأنه فتح المجال أمام استخدام الفلسفة بوصفها أداة لتفسير النصوص المقدسة والكشف عن معانيها العقلية والميتافيزيقية.